اللغة والعولمة

(عولمة اللغة)

محاضرة: في مقياس اللغة والمجتمع

للأستاذ : د. علي حلواجي

<u>العناصر</u> :

1-العولمة ومجالاتها .

2-أهمية اللغة .

3-العولمة اللغوية ومظاهرها .

4-كيف نقاوم العولمة اللغوية .

1-<u>العولمة ومجّالاتها</u> :

العَوْلَمَة ترجمة للكلمة الفرنسية Mondialisation أو الإنجليزية Globilization.

وهي في العربية تنسب إلى كلمة " العالَم " (بفتح اللام) التي جاء منها الفعل " عَوْلَمَ " على وزن فَوْعَلَة. وهي في كل اللغات و الحالات تعني تعميم الشيء وجعله عالميًا .

ومن حيث المصطلح فهي العملية التي تسعى الدولة القوية من خلالها تعميم خصائصها على العالم كله في شتى مجالات الحياة وعلى رأسها المجال السياسي و المجال الاقتصادي و المجال الثقافي و المجال الإعلامي والمجال الاجتماعي و المجال اللغوي وبذلك تنمحي الخصائص المحلية تدريجيا وتزول الحدود الفاصلة بين البلدان في هذه المجالات .

2-<u>أهمية اللغة</u> :

أهمية اللغة موضوع طويل ولكننا نقتصر هنا على الجوانب التي لها علاقة مباشرة بالعولمة اللغوية :

أ- اللغة وعاء الثقافة :

و الثقافة أساس الحضارة و الحضارة ترجمة للهوية ، ومن هنا كانت اللغة من أهم أركان الحضارة ومن أهم العوامل التي تساهم في تشكيل هوية الأمة .

ولهذا فلا نعجب حينما نرى أن بعض المفكرين اللغويين في بعض البلاد التي تعتبر نفسها أمة عريقة، يرون أن الغزو اللغوي لا يقل خطورة عن الغزو العسكري .

إن الاعتزاز باللغة ليس وليد الاعتزاز بذات اللغة بقدر ما هو اعتزاز بالثقافة التي تمثلها هذه اللغة.

ب- **اللغة من مقومات الوحدة :**

إن الدول التي يتحدث أهلها بلغة واحدة تكون أكثر تماسكًا وانسجامًا من الدول التي تتحدث بعدة لغات، بل إن وحدة اللغة من أهم عوامل الاستقرار السياسي و الاقتصادي ، وهذا واضح في الدول الافريقية إذا ما قورنت بدول أوروبا و أمريكا .

لقد اعتبر جمال الدين الأفغاني إخفاق الدولة العثمانية في عدم استخدام اللغة العربية لغة رسمية لجميع البلاد الإسلامية الواقعة تحت حكمها من أهم العوامل التي ساعدت على قيام النعرات القومية بين العرب و الترك والتي كان لها أكبر الأثر في سقوط الدولة العثمانية .

ومن أجل هذا فليس من المستغرب أن يؤكد بعض الباحثين أن البلاد المجزأة لغويا بشكل كبير بلاد فقيرة دائما . و يذهب بعضهم إلى أن التعدد اللغوي بين دول المجموعة الأوروبية يعد عقبة أساسية دون انصهارها في كيان موحد.

و بناء على ما سبق ندرك خطورة العولمة اللغوية ودخول لغة أجنبية على قوم ما .

3-**<u>العولمة اللغوية و مظاهرها</u> :**

إذا نظرنا إلى مدلول العولمة الذي يعني (كما سبق) جعل ما هو محلي عالميا أو الانتقال من المحلية الإقليمية إلى العالمية، فهل هناك لغة انتقلت من المحلية إلى العالمية يتحدث بها العالم كله على اختلاف لغاته الأصلية؟ لاشك أن الجواب الواضح وهو الإيجاب ، ولاشك كذلك أن تلك اللغة هي الإنجليزية (الأمريكية) .

ففي العقد الأخير من القرن الماضي يمكن القول إن سيطرة اللغة الإنجليزية وانتشارها العالمي قد تضاعفت مع الهيمنة الاقتصادية و الإعلامية الأمريكية ، ثم بسبب تزايد استخدام شبكة الأنترنت ازداد

اتساع نطاق استخدام كلمات وعبارات إنجليزية تعبر عن الثقافة الأمريكية و القيم الاستهلاكية التي قد لا تتناسب مع قيم بعض الأمم التي تعتبر نفسها عريقة، مثل الألمان و الصينيين و الفرنسيين.

ويكاد يُجمع من كتبوا في حاضر اللغات أن اللغة الإنجليزية هي اللغة العالمية بصرف النظر عن عدد المتحدثين بها وتوزيعهم الجغرافي ، فكثرة المتحدثين بلغة ما ، كاللغة الصينية مثلا، لا يدل على عولمتها .

ونذكر في ما يأتي بعض الشواهد و الظواهر التي تدل على مدى الامتداد الأفقي لهذه الظاهرة:

أ- شعور كثير من الأمم بالخطر :

وهو الخطر الذي يمثله تغلغل وانتشار اللغة الإنجليزية الذي تشعر به الدول التي تعتز بحضارتها وتنظر بريبة لانتشار الثقافة الأمريكية، ولم تستسلم لها بسهولة.

- فهذه فرنسا مثلا وهي صديق لدود !! لأمريكا يدعو رئيسها جاك شيراك (1995-2007) إلى إقامة تحالف بين الدول التي تعتمد لغات من أصل لاتيني للتصدي بشكل أفضل لهيمنة اللغة الإنجليزية ، وذلك لدى افتتاحه منتدى حول موضوع « تحديات العولمة ».. ودافع شيراك عن مبدأ « تعددية اللغات في المجتمع الدولي » ودعا شركاءه (في اللاتينية) إلى «الاستثمار في شبكات المعلوماتية » مقترحاً إنشاء موقع للثقافات اللاتينية ، كما أعرب عن أمله في أن تعترف منظمة الأمم المتحدة للتربية و العلوم والثقافة (يونسكو) رسميا بحق التعددية الثقافة من خلال إصدار إعلان عالمي يكون بمثابة ميثاق تأسيسي .
- والصين أيضًا ينتابها القلق من عولمة اللغة الإنجليزية في بلادهم من خلال الأفلام الأمريكية التي يحرص الشباب على متابعتها ثم التأثر بها ، مما دفع الحكومة الصينية إلى إصدار أول قانون للغة من أجل الوقوف أمام الخطر الذي يتهدد اللغة الصينية ، ويُلزم القانون – الذي بدأ العمل به اعتبارًا من مطلع شهر يناير 2001- وسائل الاعلام المقروءة و المسموعة بضرورة الالتزام بالأسس المتعارف عليها في اللغة الصينية المعتمدة على الكتابة المبسطة في الصين الأم .

- أما الألمان وهم من أكثر الناس اعتزازًا بلغتهم ، فقد كان لهم نصيب من هذا القلق المتزايدة ، حيث اتسع في ألمانيا نطاق المناداة بسن قوانين لحماية اللغة الألمانية من تأثير اللغات الأخرى وعلى رأسها اللغة الإنجليزية التي يعتقد اللغويون الألمان أن مصطلحاتها بدأت تشكل خطورة على سلامة لغتهم . ويرغبون في أن تحذو ألمانيا حذو فرنسا في هذا المجال.

ب- اللغة الإنجليزية لغة الأنترنت :

من مظاهر عولمة اللغة الإنجليزية وربما من أسبابها أيضا أنها أصبحت لغة الأنترنت بلا منازع، فقد أظهرت دراسة أجرتها إحدى المؤسسات الألمانية (سنة 2001) أن 77% من صفحات الانترنت باللغة الإنجليزية .. بعد فحص أكثر من مليار صفحة الكترونية . وجاءت اللغة اليابانية في المركز الثاني تليها اللغة الألمانية .

ت- الإنجليزية اللغة الثانية في أغلب بلاد العالم :

وبخاصة في العالم العربي و الإسلامي ، تليها في ذلك اللغة الفرنسية .

وبنظرة سريعة لمناهج التعليم نجد مصداق ذلك حيث ينقسم العالم الإسلامي إلى معسكرين : أحدهما وهو الأغلب يدرس الإنجليزية لغة ثانية لأبنائه كما هو الحال في دول الخليج ومصر والسودان و الباكستان وبعض دول جنوب آسيا ، وأما الثاني فيدرس اللغة الفرنسية كدول المغرب العربي و بلاد الشام .

جاء في الإحصاء الوارد في كتاب "مستقبل اللغة الإنجليزية" الذي قام به المجلس البريطاني في عام 1995 أن خمس (5/1) سكان العالم يتكلمون الإنجليزية بدرجة ما ، وأن الحاجة من الباقين لتعلمها في ازدياد مستمر .. وستصبح اللغة الإنجليزية هي اللغة الرئيسية لكثير من القطاعات التقنية وغيرها.

د- انحسار نطاق بعض اللغات:

ومن مظاهر العولمة اللغوية عمومًا بصرف النظر عن عولمة اللغة الإنجليزية ضيق انتشار بعض اللغات أو حتى اندراسها بالكلية فقد أفادت دراسة لبرنامج الأمم المتحدة للبيئة أن نصف اللغات المحلية في العالم في طريقها إلى الزوال مما يهدد الثقافات و البيئة في آن واحد .

واعتبرت الدراسة التي أعدها فريق من خبراء برنامج الأمم المتحدة للبيئة أن « أسرار الطبيعة التي تتضمنها الأغاني والقصص و الفن و الصناعات الحرفية لدى الشعوب الأصلية قد تختفي إلى الأبد بسبب ظاهرة العولمة المتصاعدة في جميع المجالات » .

وقال الخبراء إن 234 لغة أصلية معاصرة اختفت كليا، محذرين من أن 90% من اللغات المحلية في العالم سوف تختفي في القرن الحادي والعشرين.

وحذر المدير التنفيذي لبرنامج الأمم المتحدة للبيئة "كلاوس توبيفر" من أن تحرير الأسواق في العالم الذي هو مفتاح التنمية الاقتصادية في الدول الغنية و الفقيرة قَدْ يَتمُّ على حساب آلاف الثقافات و التقاليد المحلية.

وأشار برنامج الأمم المتحدة للبيئة أن حوالي 32% من اللغات المحلية في العالم توجد في آسيا و 30% في إفريقيا ، و 19% في منطقة المحيط الهادي و 15% في القارة الأمريكية و 03% في أوروبا .

هـ- اللافتات بالإنجليزية :

ظاهرة انتشار اللافتات باللغة الإنجليزية على المحلات و غيرها واضحة وضوح الشمس ، ولكن الطريف أن تفرض الإنجليزية نفسها على المتظاهرين ضد العولمة أنفسهم في دافوس ، ونيس ، وساو بالو ، فضلا عن عموم الناس ، كما ذكر (أليكسي باير) في مقال له في صحيفة . the globalist ، حيث قال : « إن اللغة الإنجليزية كانت لغة اللوحات التي استخدمها المتظاهرون المعارضون للعولمة في التعبير عن معارضتهم للعولمة ، وما ذلك إلاّ دليل على عولمة هذه اللغة دون أن يشعر بذلك أحد ».

4-<u>كيف نقاوم العولمة</u> :

الذي يهمنا في مقاومة العولمة اللغوية هو الحفاظ على لغتنا العربية ركن حضارتنا ومقوم هويتنا وهي التي قال عنها العقاد : « لقد تعرضت وحدها من بين لغات العالم لكل ما ينصبّ عليها من معاول الهدم ويحيط بها من دسائس الراصدين لها ، لأنها قوام فكرة وثقافة وعلاقة تاريخ » .

إن اعتزاز الانسان بقيمه ومبادئه هو أول الطريق إلى انتصاره ولو طال الأمد ، فلا يمكن لنا مقاومة هذا الزحف اللغوي العولمي بجيوشه الجرارة بجنود ملأ نفوسها الخور وهدت قواها نظرية "إعجاب المغلوب بالغالبة "، وعليه فلا بد من حملة ضارية يحملها العلماء وقادة الفكر أولا لإعادة ثقة هذه الأمة بلغتها واستنهاض هممهم للذود عنها من خلال الخطوات الآتية:

أ- نشر اللغة العربية في أكبر رقعة جغرافية ممكنة :

وللقيام بهذه المهمة لا بد من سلوك قنوات عدة نذكر منها على سبيل المثال ما يلي :

- نشر اللغة بين الأقليات غير العربية التي تعيش في بلاد عربية .
- نشر اللغة العربية في البلاد الإسلامية الناطقة بغير العربية
- نشر اللغة العربية بين الجاليات المسلمة في بلاد الغرب أو حتى بين الغربيين أنفسهم .

ب- نشر اللغة العربية الفصيحة بين المتحدثين بالعامية في جميع الأقطار العربية:

ويمكن تحقيق نتائج إيجابية في ذلك بنسبة مقبولة وبسرعة إذا تمت معالجة بعض الظواهر المَرَضِيّة التي تشكل مُناخاً ملائما لفُشُوِّ العامية ، مثل :

- استخدام العامية لغة للإعلام المرئي و المقروء .
- انتشار ما يمكن تسميته بالفكر الفلكلوري أو التراثي الذي يعمل على إحياء التراث حاملا معه العامية في الشعر وغيره .

ث- الحد من توسع اللغة الإنجليزية و الأجنبية عموما ولا سيما في المجالات التي يمكن الاستغناء عنها ، كالتعليم في المرحلة الابتدائية .

د- مقاومة الاعتقاد السائد بشكل مطلق لدى بعض الناس أن تعلم اللغة الإنجليزية مفتاح للمستقبل المشرق والوظيفة المرموقة مع أن ذلك له حدوده .

هـ – تكثيف الترجمة العلمية الصحيحة الراقية ، وقد أثبتت نجاحها في بعض الجامعات العربية .

و– اتقان العربية لدى أهل التعليم لا سيما في المراحل الابتدائية و المتوسط ومشايخ حلق المساجد و الإعلاميين.

ز– تكثيف الأنشطة والمسابقات اللغوية .

ويساعد على تحقيق هذا كله أن اللغة العربية تملك من المؤهلات ما يحميها ليس من الاضمحلال فقط ، بل ما يجعلها منافسة للغة الإنجليزية ، إذا ما وجدت ألسنًا تفخر بالتحدث بها ، و الدفاع عنها ، ونشرها وتحويل العولمة الإنجليزية إلى عوربة للعالم الإسلامي في أقل الأحوال .